لعهد لمصلحة الأمير فلاديمير أندرييفتش فهذا شيء لم يستطع القيصر قطعا أن ينساه . وماتت اناستاسيا . فحلت النكبة بالكاهن ونفي الى ابعد الأديرة وأكثرها كآبة في ذلك العصر وهو دير شولوفتسك على البحر الأبيض حيث طواه النسيان وابتعد نهائياً عن العالم وانقطع نفوذه في التاريخ حتى أننا لا نعرف كيف مات . ونحن نجد وصفا لخيبة أمل إيڤان العميقة بسيلڤستر في احدى رسائله التي يقول فيها إنه لم يكن لديه الرغبة قط في أن يحاكم هذا الكاهن في هذه الحياة الدنيا بل ستكون المحاكمة هناك حيث تمثل نفساهما أمام « الحمل الالهي » .

وكانت أوهام القيصر اقل من ذلك تجاه « الكلب » ارداتشيف الرجل الذي رفعه من الأسفل ليجعله في الواقع وزيره الاكبر والمدير الرئيسي لروسيا ، وأقيمت دعوى لم يكن ارداتشيف مخولا بالمثول أمام المحكمة للدفاع عن نفسه فيها . ولم يكن له في المجلس إلا القليل من الأصدقاء . وقد تشفع به المتروپوليت كما فعل من أجل سيلڤستر من قبل ولكن شفاعته رفضت . وقدر إيڤان أن باستطاعته التخلي عن الحكمة وعن سلطة الكنيسة فأصدر أمره باعتقال الكسي ارداتشيف في دوربات حيث مات هناك بعد شهرين بالحمى كما يقول البعض أو مقتولا كما قال آخرون أو مسمما نفسه مقرا بذلك بذنبه لأن ضميره لم يسمح له بمتابعة الحياة . إلا أننا يجب الا ننسى كم كان على الانسان أن يكون قوي البنية كي يتمكن من تحمل قسوة السجن في القرن السادس عشر .

ونحن لانكاد نشك بأن ارداتشيف كان رجلا ذا شجاعة وحصافة ، فعظمة الملوك لاتتأتى غالباً إلا من مقدرتهم على اختيار الرجال ذوي الكفاءة والشرف ليسندوا إليهم أعمال الإدارة . وعندما هاجم القيصر بشدة مناقب ارداتشيف فإنما كان يهاجم صدق حكمه على الرجال في باكورة شبابه . والنجاح الذي لقيه عهده حتى ذلك الوقت إنما يعود إلى فطنة هذا المستشار أكثر من دعوته الى أية ظروف أخرى . وخطأ هذا المحظي انه لم يقف إلى جانب القيصر في عام ١٥٥٣ عندما اعتقد أن